مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 14 / العـدد: 01 (2026)، ص: 146-156

التقارب المنهجي بين الفكر الفلسفي العربي والفكر الفلسفي الغربي –أبو حامد الغزالي وديكارت أنموذجا-

Methodological Convergence Between Arab and Western Philosophical Thought: A Case Study of Al-Ghazālī and Descartes

د. بلال قارة [1]

[1] جامعة مولود معمري تيزي وزو- مخبر: مجتمع، تربية، عمل (الجزائر)، bilel.kara@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/28 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

يتناول المقال العلاقة المنهجية بين الفيلسوف الإسلامي أبو حامد الغزالي ورائد الفلسفة الحديثة رونيه ديكارت، مركّزًا على منهج الشك كوسيلة لبلوغ المعرفة اليقينية. ورغم الفاصل الزمني الكبير بينهما، إلا أن الغزالي وديكارت انطلقا من ذات الشك المنهجي في الحواس والعقليات بحثًا عن الحقيقة. الغزالي بدأ بشكّه في المحسوسات والعقليات لينتهي إلى نور إلهي يمثل اليقين، بينما توصّل ديكارت إلى اليقين من خلال مبدأ "الكوجيتو: أنا أفكر إذن أنا موجود". يُظهر المقال أن كلاً منهما تحرر من التقليد وبحث عن أسس يقينية للمعرفة، مع طرح تساؤلات حول مدى تأثير الفكر الإسلامي في بناء الفلسفة الغربية الحديثة. يؤكد المقال على وحدة المعرفة الإنسانية ووجود تشابه في المسار الفكري والمنهجي بين المفكرَين رغم اختلاف السياقات.

كلمات مفتاحية: الشك المنهجي، الغزالي، ديكارت، اليقين، الكوجيتو.

Abstract:

This article explores the methodological connection between the Islamic philosopher Abū Ḥāmid al-Ghazālī and René Descartes, the founder of modern Western philosophy. It focuses on their shared use of methodological doubt as a path to certain knowledge. Despite the wide historical gap between them, both thinkers began by doubting sensory perception and rational principles in their search for truth. Al-Ghazālī's doubt led him to a divine illumination that represented certainty, while Descartes reached certainty through the principle of Cogito, ergo sum—"I think, therefore I am." The article highlights how both philosophers broke away from tradition and sought a foundation for knowledge that could not be doubted. It also raises questions about the possible influence of Islamic philosophy on the development of Western thought. The study emphasizes the unity of human knowledge and the striking similarities in the intellectual and methodological approaches of both thinkers, despite their different cultural contexts.

Keywords: Methodological doubt, Al-Ghazālī, Descartes, Certainty, Cogito

***المؤلف المرسل:** بلال قارة

1. مقدّمة:

يُعتبر كلّ من الغزالي وديكارت من القامات السامقة على صعيد الفكر الفلسفي، إذ يُعتبَر الغزالي من الشخصيات القلقة في العالم الإسلامي، وذلك لعلوّ كعبه، ورسوخ قدمه في العلوم النقلية والعقلية على السواء، ومن هنا لُقّبَ بحجّة الإسلام. وفي المقابل يُلقّب رونيه ديكارت -الفيلسوف والرياضي الفرنسي- بأبي الفلسفة الحديثة، وذلك دلالةً على الدور الفاعل الذي لعبته فلسفته في الدفع بحركة العلم الحديث للمضي قُدُما.

إنّ النظَر في العلاقة الثاوية بين منهج حجّة الإسلام الغزالي ومنهج رائد الفلسفة الحديثة ديكارت يهدف إلى كشف الرابط بين المنهجين اللذين تفصل بينهما هوّة زمنيّة سحيقة تربوا عن خمسة قرون، ومع ذلك نجدُ نقاط التقاء كثيرة بينهما سواء في الأفكار أو في المنهج المتبّع! كما تهدف هذه الورقة البحثية أيضا إلى بيان وحدة المعرفة الإنسانية التي تظهر من خلال التأثر الفكري الحاصل بين الفلاسفة والعلماء والباحثين في مشارق الأرض ومغاربها وهذا ما مكّن الفلسفة الغربية أن تنهل من معين الفلسفة العربية والإسلامية على غرار أفكار ابن سينا في الطب، وأفكار نصر الدين الطوسي الثائر على أفكار بطليموس، حيث كان السبّاق إلى اكتشاف حركة الأرض وإنشاء مرصد مراغة في علم الفلك في أذربيجان الشرقية سنة 650 للهجرة، 1259 للميلاد، أي قبل زهاء قرنين من الزمن من طرق الفلسفة الغربية لهذا الموضوع، الذي أضحى بعد ذلك ثورة كوبرنيكية!

سوف تغدو إشكالية البحث المطروق مساءلة للفكر الغربي عن الحدود الممكنة في استفادته من الفكر العربي والإسلامي؟ وذلك من خلال استعراض العلاقة بين منهج أبي حامد الغزالي ورونيه ديكارت من أجل كشف نقاط التقاطع والتقارب بينهما من جهة، ومن جهة أخرى فإنّنا نتساءل حول ما إذا كانا قد استخدما نفس الخطوات المنهجية في سبيل بلوغهما لمعرفة يقينية؟ وإذا كانت الإجابة بعد ذلك هي: نعم، فهل يُعتبر هذا الالتقاء في المنهج بينهما تخاطرًا طبيعيّا في الأفكار؟ أم أنّه من قبيل استفادة اللاحق من السّابق؟ وإذا كان الشّق الثاني من التساؤل هو الصواب فإلى أي مدى كان ديكارت أمينا في عزوه للأفكار إلى صاحبها؟

2. الشكّ كمنهج عند أبي حامد الغزالي:

يتبيّن لنا من خلال العودة إلى مصادر أبي حامد الغزالي وعلى وجه أخصّ "المنقذ من الضلال" بأنّ الشكّ المنهجي هو سمة ملازمة لهذا الكتاب، حيث قامت عليه جميع مباحثه ومسائله، وبما أنّ الحكمَ على الشيء عند المناطقة هو جزءٌ من تصوّره، كان لزامًا علينا التعريجُ في البدء على تعريف الشكّ المنهجيّ باعتبارهِ مركّبا مزجيّا وذلك من أجل استيعاب فلسفة صاحب بحثنا وتحليلها تحليلا موضوعيا، سيما وأنّ لمصطلح الشكّ مفاهيم متعدّدة ومتغايرة فيما بينها من حيث الدلالة.

1.2 حول مفهوم الشكّ المنهجي:

يأتي الشكّ في لسان العرب كما أورد ابن منظور نقيضا لليقين، ويُجمعُ على "شكوك" (ابن منظور، د ت، صفحة 2335)، ومن ذلك ما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة، الآية: 260) فقال: «أنا أولى

بالشكّ من إبراهيم (أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، رقم الحديث: 3268) حيث علّق ابن كثير في تفسيره على هذا الحديث قائلا : «ليس اعترافا بالشك على نفسه ولا على إبراهيم [...] بل قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس [...] وفيه الإعلام بأن المسألة من جهة إبراهيم لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان (بن كثير، 2000، صفحة 325) »أي أنّ شكّ الأنبياء والعارفين بالله هو شكّ تعليميٌّ، الباعثُ من وراءه هو الوصول إلى الحقيقة، لذلك سوف يعتبره حجّة الإسلام من بين الأقساط أو الموازين الخمسة التي تحدّث عنها في القسطاس المستقيم (الغزالي، 1993، صفحة 28).

أمّا الشكّ في اللسان الغربي عموما، وفي لغة الفلاسفة خصوصا فإنّه سيعرف معنا مغايرًا لما رأيناه في لسان العرب، حيث يعتبر " أندريه لالاند" **le doute** بأنّه "اضطراب عقليّ يتميّز بصعوبة، أو حتى باستحالة التوصّل إلى قرارات، أو قرارات جازمةٍ" (لالاند، 2001، صفحة 302) ومن هنا فقد أصبح الشكّ وفقا للدرس الفلسفي الغربي عبارة عن اضطراب نفسي، ينتج عنه التردّد في اتخاذ القرارات أو الاهتداء إلى سبيل محدّد.

بناءً على ما سبق يمكننا القولُ بأنّ الشكّ ينقسم إلى عدّة أنماطٍ، نذكر منها:

- **الشكّ المرضي أو الشكّ المفرِط:** وهو الذي عناه لالاند في موسوعته الفلسفية، إذ أنّ صاحبه يُصاب بشيء من التردّد الدائم في الاختيار، أو في اتخاذ القرارات اللازمة، أو في اكتساب الثقة في الآخرين.
- **الشكّ الهدميّ المطلق:** وهو شكّ يعتقد أصحابه باستحالة الوصول إلى المعرفة، مع رفض الثقة في كل الأدوات الموصلة إليها، ومن هنا ينبغي تقويض كل أملٍ يدعوا إلى بناء معرفةٍ يقينية، أي أن صاحب هذا الشكّ يبدأ شاكّا وينتهي شاكّا (بن زكي الحمّاد، صفحة 552).
- **الشكّ المنهجيُّ:** وهو الذي عناه صاحب لسان العرب بعد استشهاده بحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الخليل إبراهيم الذي قصّ علينا القرآن الكريم كيفيّة اهتدائه إلى وحدانية الخالق من خلال شكّ منهجي ابتدأ فيه بالتأمل في الكواكب التي اختلج في صدره كونها آلهة بسبب أفولها المتواصل، وهو السبب نفسه الذي قاده إلى الإيمان الجازم بأنّ الله أحدٌ.

وهذا النوع من الشكّ يفرضه صاحبهُ بإرادته، ويقصده بوعيه، بهدف امتحان معارفه السابقة، واختبار معلوماته، وتطهير عقله، من كل ما فيه من مغالطات وأضاليل [..] وغايته هي الحقيقة واليقين بعد طرح المعارف المغلوطة. (بن زكي الحمّاد، صفحة 553)، وهو الشكّ الذي استحوذ على نفوس وعقول العارفين بالله، وفي طليعتهم أبي حامد الغزالي الذي يُعتبر من أوائل المنظّرين له من خلال كتبه وأعماله التي يصفها إيميل بريهيه بأنّها تطالعنا بنقدٍ شكيّ للمعرفة، يناظر تيارًا أصاب حظا واسعا من الانتشار في ديار الإسلام في ذلك العصر. (بريهيه، 1988، صفحة 129).

إنّ الشكّ المنهجيّ من خلال كلّ ما سلف ذكره هو منهجٌ يقوم على تدقيق المعاني والأحكام وتمحيصها تمحيصا ثاقبا، إذ لا يُقبل منها إلا ما ثبت بدليليّ يقيني (مدكور، 1983، صفحة 103)، ومن أُسُسِ هذا الشكّ أيضا تجريدُ الذّهن من أيّ أحكام مسبقةٍ وأن يتخلّص الإنسان من الأفكار والعوارض الخاطئة، وأن لا يتسرّع في حكمه وألا يقبل

إلى ما ثبت ببداهة العقل صحّتُهُ، ومن أبرز من قال به الغزاليُّ ثم ديكارت (الغزالي، المنقذ من الضّلال، 2001، صفحة 57).

2.2 قواعد الشكّ المنهجي عند أبي حامد الغزالي:

تُعتبَر البيئة التي نشأ فيها الغزالي وتقلّب فيها عقودا من الزمن بمثابة نقطة الانطلاقة في بحثه عن الحقيقة، وفي وضعه لمنهج علميّ يكون بمثابة التُكأة له من أجل إدراك المطلوب، حيث نظرَ حجّة الإسلام إلى ظروف عصره، وإلى أحوال الناس و كيف هم مختلفون في المِلَلِ والنِحَلِ، إذ أدرك بالبداهة أنّ أبناء اليهود ينشؤون على الملّة التي نشأ عليها آباءهم، وكذلك أبناء النصارى، وأبناء المسلمين، وهنا انقدحَ في خَلدِه بأنّ أغلب الناس قد سلكوا في تديّنهم أو نمط تفكيرهم مسلك التقليد واتباع العادات والأعراف. أي دون بحثٍ عن أدلّة يقينيّة لما يدينون به من معتقدات أو أفكار، فهذه النحل الكلامية والفرق المذهبية لا تعدوا كونها مقلّدة لما تركه الأقدمون من تراث، وما زادوا عليه إلا شيئا من الشروح أو حشدا لمزيد من الأدلة؛ أي أنّهم بدلوا تقليدا بتقليدٍ. وما كان هذا هو حاله من العلوم فإنّه لا يفيد العلمَ، أو القطعَ، وإنما يفيدُ الظنَّ، ومن هنا كانت بداية الإمام الغزالي من أجل وضع قواعد منهجية يصل من خلالها إلى مرتبة اليقين والخروج من منطقة المنتصف المميت، لذلك سوف تكون قواعد منهجه قواعدً تكسرُ كل أغلال التقليد والعادات، وتفتح الباب واسعا أمام التفكير الفلسفي السليم، وفيما يلي بيان لهذه القواعد:

- ✓ **التشكيك في المعرفة الحسيّة:**

لقد افترض الغزالي بدءً إمكانية الوصول إلى معرفة يقينية عن طريق الحواس، وهذا الافتراض يقتضي منه البحث عن اثبات أو نفي له، والسبيل إلى ذلك هو النظر إلى عالم المحسوسات بعين الشكّ لا بعين الرضى، إذ تأمّل في أقوى حاسّة لدى الانسان وهي البصر، ليتوصل بعدها إلى أنّها قد تكون موهمة ومُضلِّلَةً في الكثير من الأحيان، وأورد أمثلة على ذلك، منها قوله: **"من أين الثقة بالمحسوسات و أقواها حاسّة البصر وهي [...] تنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار الدينار، ثم الأدلّة الهندسيّة تثبت بعد ذلك بأنّه أكبر من الأرض"** (الغزالي، المنقذ من الضّلال، 2001، صفحة 165). ومن هنا بطلت الثقة في المحسوسات.

الشكّ في العقليات:

بعد ثبوت عدم الثقة في عالم المحسوسات ينتقل بنا حجّة الإسلام إلى الخطوة الثانية من خطوات شكّه المنهجي، ألا وهي القيام بعملية اختبار لعالم العقليات التي ربّما تترجّح كفّتها مقارنة بالمحسوسات، فهي من قبيل الأوليّات التي قد لا يتطرق الشكّ إلى بعض مسائلها، ومن ذلك قولنا العشرة أكثر من الخمسة، إلا أنّ عارض الشكّ قد تبدّى للإمام الغزالي مرّة أخرى، حيث أدرك بأنّه قد كذّب عالم المحسوسات بحاكم العقل، فلعلّ هناك حاكما آخر لم يظهر له بعدُ، ومن خلاله سوف يكذّب عالم العقليات، خاصّة وأن القاعدة الأصولية تقول بأنّ عدم الوجود ليس دليلا على عدمٍ الوجدان، ومن هنا اهتدى الغزالي إلى تلك المنامات التي تعرض له حال النوم، فإذا استفاق تبيّن له بأنّها أوهامٌ لا طائل منها، ليخلُص إلى الشكّ في المعرفة العقلية لعدم وجود الضّامن الذي يؤكّد يقينها، حيث

يقول: **" لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة أخرى تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوما بالإضافة إليها؟ فإذا وردت تلك الحالة تيقنت أنّ جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها"** (الغزالي، المنقذ من الضّلال، 2001، صفحة 167) وبناءً على ما سبق يصل أيضا إلى الشكّ فيما يتوّهمه بعض الصوفية من انكشاف أحوالٍ لهم إذا هم غابوا عن حواسهم وأمعنوا في التأمل والعبادة (الغزالي، المنقذ من الضّلال، 2001، صفحة 167). ليقع الغزالي خلال هذه الفترة أسير السفسطة بعد أزمة نفسيّة كبيرة ألمّت به لأكثر من شهرين من الزّمن، وما إن تماثل للشفاء حتى عكف تارة أخرى على البحث عن السبيل الموصل إلى الحقيقة واليقين، لينكشف له النور الإلهي وتظهر له الحقيقة كنورٍ قذفه الله في قلبه، ومن هنا يضع لنا القاعدة الثالثة من قواعد منهجه وهي:

✓ **البداهة واليقين:**

والبديهي هو ما لا يتوقف حصوله في الذهن على نظر وكسب، سواءً احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة أو غير ذلك، وقد يراد بالبديهي ما لا يحتاج العقل في التصديق به إلى شيء أصلًا، وهنا يقول الغزالي في المنقذ من الضّلال: "**العلم اليقيني هو الذي يكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقي معه ريب يتسع معه القلب لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدي بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا، لم يورث ذلك شكا وإنكارا، فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل: لا، لم أشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه، فأما اشك فيما علمته فلا. ثم علمت أن كل ما لا أعلمه علي وجه ولا أتيقّنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني"** (الغزالي، المنقذ من الضّلال، 2001، صفحة 163)

✓ **المراجعة والتدقيق:**

لقد سنّ الغزالي هذه القاعدة كخطوة أخرى يكشف من خلالها عن منهجه، مؤكّدا على ضرورة مراجعة وتمحيص ما تمّ التوصّل إليه من نتائج حتى تتبدّى في عقل صاحبها يقينا لا يخالطه أي ريبٍ أو أدنى شكّ، إذ يقول:" **أن تتيقنّ وتقطع به، وينضاف إليه قطعٌ ثانٍ، وهو أن يقطع بأنّ قطعه به صحيح، ويتقنّ بأنّ يقينه لا يمكن أن يكون فيه سهوٌ، ولا غلطٌ ولا التباسٌ، ولا يجوز الغلط لا في يقينه بالقضية، ولا في يقينه الثاني بصحّة القضيّة، ويكون فيه آمنا مطمئنّا، قاطعا بأنّه لا يُتصوَّرُ أن يتغيّر فيه رأيه ولا أن يطلّع على دليل غاب عنه فيغيرّ اعتقادهُ"** (الغزالي، محكّ النظر، 2016، صفحة 112)

✓ **عدم التناقض:**

حيث يعزو الغزالي الوقوع في التناقض إلى أغلب المقلّدة والعوام وأرباب المذاهب الدينية الذين بنوا أفكارهم على حسنّ الظن بما أخذوه من سابقيهم دون تمحيصٍ ولا بحثٍ ولا محاولةٍ للوصول إلى اليقين، وهذا بخلاف من ارتحل بين العلوم والمعارف طالبا للأدلة، ومنقبّا عن نور الحقيقة، فمتى اهتدى إلى اليقين وقذفه في الله قلبه فلا ينبغي له أن يقع في التناقض أبدا، لأنّه قد أدرك الحقّ الذي ليس بعدهُ إلا الظنّ، وهنا يقول: **" أن يُصدّق به**

تصديقا جازما، لا يتمارى فيه، ولا يشعر بنقيضه ألبتةَ، ولو أُشعِرَ بنقيضه عَسُرَ عليه إذعان نفسه للإصغاء إليه' (الغزالي، محكّ النظر، 2016، صفحة 113)

3. الشكّ كمنهج عند رونيه ديكارت:

إنّ الحديث عن المنهج الديكارتي يحملنا بداية على الحديث ولو باقتضابٍ عن صاحبه الذي عُرف كما يقول الباحث مهدي فضل الله (مهدي فضل الله، 1996، صفحة 88) بالتشكيك في قيمة المعرفة الفلسفية منذ كان في مقاعد الدراسة، في مدرسة la flèche، كما أنّه عاش في عصر ذاع فيه مذهب اللا أدريين، أو الشكّاك ذوي النزعة الارتيابية، حيث اطلع على آرائهم، وبالخصوص آراء « Michel de Montaigne » الذي اشتهر بلا أدريته المطلقة، فبدأ ديكارت عزلته في ألمانيا سعيا منه وراء مبدأٍ يقيني يبني عليه فلسفته، بحيث تبلغ مرتبة يقين العلم الرياضي، وهنا مرّ ديكارت بفترة عصيبةٍ من الشكّ، تشابه تلك التي مرّ بها الغزالي من قبل، حيث شكّ أولا في مصدر المعرفة، مبتدئا **بتشكيكه في الحوّاس** إذ لاحظ مثلما لاحظ الغزاليّ من قبله بأنّ الحواس مضلّلة في بعض الأحايين، حيث أنّها لا تنقل لنا بالدقّة صورة الشيء التي هو عليها، فهي **" خدّاعة في بعض الأوقات، ومن الحكمة أن لا نطمئنّ أبدًا كلّ الاطمئنان إلى من يخدعنا ولو مرّة واحدةً"** (ديكارت، 1988، صفحة 14)، وقد قاده التشكيك في المحسوسات إلى التشكيك في القوى الباطنية والعقلية للإنسان على غرار الذاكرة، الحافظة، الخيال، فنحن قد نرى في أحلامنا عوالم نعتقد حينها بأنّها حقيقة مطلقة، فإذا ما استيقظنا من نومنا أدركنا أنّها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءهُ لم يجدهُ شيئا، وهذا ما جعل ديكارت يشكك في المعرفة العقلية حال اليقظة، مثلما فعل الغزالي تماما، حيث تساءل ديكارت عن إمكان كون هذه المعرفة مجرّد خيالات وأوهام شبيهة بالأحلام، لذلك فهي لا تَفْضُلُ المحسوسات في شيء من حيث كونها خادعة ومضلّلة (ديكارت، مقال عن المنهج، 1985، الصفحات 212-213).

لقد بلغ الشكّ بديكارت إلى درجة لم يبلغها سابقوه من قبل، حيث شكّ حتى في وجوده ككائن وكذات مفكرّة، وربما لا غرو في ذلك، مادام أنّه قد شكّ في أداة الإدراك من حسٍّ وعقل (مهدي فضل الله، 1996، الصفحات 89-90)، ومن هنا أصبح كلّ الوجود عند رائد الفلسفة الحديثة سواء كان حسيّا أو غير حسيّ هو من قبيل الوهم، أو لنقل مشكوكا في وجوده.

بعد بلوغ ديكارت هذه المرتبة من الشكّ المنهجي انبلج له في الأفق بصيص أمل اهتدى من خلاله إلى اثبات وجود ذاته المفكرّة، إذ أنّ هناك حقيقة واحدة مهما بلغ بنا الشكّ درجاته القصوى فإنّه لا يمكننا أبدا الشكّ في عدم وجودها، ألا وهي الذاتُ الشاكّة، فلا يمكنني أبدًا أن أشكّ في أنّني أشك، ومن خلال هذا الاستنتاج اهتدى ديكارت إلى فكرة الكوجيتو، le cogito فلو أنني لم أكن موجودًا، لما استطعت أن أشكّ أو أن أفكّر، وما دمتُ أشكّ فأنا أفكّر، وما دمت أفكّر فأنا موجودٌ (محمود و أحمد ، 2020، الصفحات 60-61). "أنا أفكّر أنا موجود هي من الرّسوخ بحيث لا تزعزعها فروض الريبيين، مهما يكن فيها من شطط، حكمت بأنّني أستطيع مطمئنا أن أتخّذها مبدأً أولا للفلسفة التي كنتُ أبحث عنها" (ديكارت، مقالة الطّريقة، 2016، صفحة 136)

ومن خلال ما سبق يمكننا إجمال منهج ديكارت في الخطوات الآتية:

✓ **الخطوة الأولى: الشكّ المنهجيُّ:**

استخدم ديكارت الشك كوسيلة من أجل بلوغ الحقيقة التي لا يمكن أن تحتمل الشكّ، أو التي لا يمكن للشكّ طرقها، ولذلك نجده يضعُ مبدأين للبحث عن الحقيقة وهما:

المبدأ الأوّلُ: في غمرة التنقيب عن الحقيقة يحتاج الإنسانُ مرّة في حياته أن يضع الأشياء جميعا موضع الشكّ بقدر ما في الإمكانِ.

المبدأُ الثاني: من النافع أن نعُدّ جميع الأشياء التي يمكن الشكُّ فيها غير صحيحةٍ.

✓ **الخطوة الثانية: التحرر من رِبقةِ التقليدِ:**

يذهب ديكارت إلى القول بأنّ الاعتياد والتقليد هما اللذان يقنعاننا أكثر من أي معرفة يقينية، ويمثل على ذلك بقوله أنّ كثرة الأصوات ليست دليلا على الحقيقة التي يصعب كشفها، في حين أنّ الأقرب إلى الاحتمال أن يقف عليها رجلٌ واحدٌ دون شعبٍ بأسره.

وهنا يقرّر ديكارت توجيه نفسهِ بنفسهِ، لأنه لم يجد رجلا يفضلُ رأيه على بقية الآراء.

✓ **الخطوة الثالثة: وضع القواعد المنهجية ومبدأ اليقين:**

وضع ديكارت هنا أربعة قواعد عازما في ذلك على ألا يُخلّ بمراعاتها وهي:

القاعدة الأولى: البداهة واليقين: والتي تعني ألا أتلقى على الإطلاق شيئا على أنّه حقٌّ ما لم يتبيّن لي بالبداهة العقلية أنه كذلك؛ أي تجنّب العجلة وعدم التمسك بالأحكام المسبقةِ، وهذه القاعدة تشيرُ إلى أنّ العقل يهتدي إلى الحقيقة بالحدس العقلي، أو نور العقل، حيث يقول ديكارت: " وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميّز، لا يكون لديّ معهما أيّ مجالٍ لوضعه موضع الشكّ" (ديكارت، مقالة الطّريقة، 2016، صفحة 102)

القاعدة الثانية: التحليل والتقسيم: أي تحليل المعضلات والمشكلات التي هي محل البحث إلى عدد الأجزاء الممكنة من أجل حلها على أحسن وجهٍ، وتسمّى هذه القاعدة أيضا بفاعل التحليل (ديكارت، مقالة الطّريقة، 2016، صفحة 103).

القاعدة الثالثة: الترتيب والتركيبُ: ويعني بذلك ترتيب الأفكار بدءًا بالأبسط والأيسر معرفةً إلى غاية الوصول إلى معرفةِ أكثرِ الأمور تركيبا.

القاعدة الرابعة: الإحصاء: وهي عملية الاستقراء التي ينبغي أن يقوم بها الباحث ليتأكد بأنه لم يُغفِلْ أيّة جزئية من جزئيات المشكلة (ديكارت، مقالة الطّريقة، 2016، صفحة 102).

✓ **الخطوة الرابعة: تحديد الوسيلة**

لقد استخدم ديكارت في منهجه وسيلتين وهما: **الحدس، والاستنباط.**

ويعني **الحدس** عند ديكارت الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق البديهية، كما أنَّ الحدسَ لا يمكنُ البرهنة عليه وذلك نظرا لبداهته، وكل محاولة للبرهنة عليه هي من قبيل العبث الفكري؛ لأن

الفكرة البديهية واضحة بذاتها من غير برهانٍ. **وخلاصة القول أنّنا ندرك بالحدس ثلاثة أشياء وهي: الطبائع البسيطة، الحقائق التي لا تقبل الشكّ، والعلاقات التي تربط الحقائق بعضها ببعض، وقد سمّى ديكارت هذا الحدس: النور الطبيعي.**

أما الاستنباطُ عند ديكارت فهو الانتقال من فكرة حدسيةٍ إلى نتيجة لها تصدر عنها صدورا ضروريا، أي لا يمكنُ تصور نقيضها، وبناء عليه تكون النتائج المستنبطة حدسية هي الأخرى (ابراهيم، د ت، صفحة 80). فالحدس والاستنتاج هما مبدآن للطريقة (ديكارت، مقالة الطّريقة، 2016، الصفحات 24-25).

4. المقارنة بين منهج أبي حامد الغزالي ومنهج رونيه ديكارت:

يُدلف بنا التحليلُ السّابق إلى القيام بعملية مقارنة بين منهج حجّة الإسلام، ومنهج رائد الفلسفة الحديثة، من أجل الوقوف على نقاط التقاطع بين المنهجين، حيث سنبين أوجه التشابه والاختلاف بينهما:

أوجهُ التشابُهِ:

أوّلا:

- **بدأ الغزالي** تجربته الشكيّة بنظره في الموروث الديني المبني على التقليد وعدم النظر، لذلك رفض كل المذاهب والمعارف السّائدة، وانطلق في رحلته للبحث عن الحقيقة.

- **كذلك انطلق ديكارت** في بداية مسيرته الشكيّة، بعدم وثوقه فيما تعلمه في معهد la flèche، وشكك في كل المعارف التي تلقاها من أساتذته، كما أنّه نظر في كلّ معارف زمانه فوجدها غير وافية وغير مجديّة، لذلك كان لزاما عليه أن يرفض جميع المذاهب الشائعة في عصره.

ثانيا:

- **بدأ الغزالي** اختباره لوسائل المعرفة بالتشكيك في المحسوسات وتوصل إلى أنها توقعنا في الخطأ وبالتالي فإنها لا تفضي إلى المعرفة اليقينية

- **بدأ ديكارت** كذلك في اختباره لوسائل المعرفة بالشك في الحواس واعتبرها بأنّها مضلّلة وخادعة، وأعطى في نصوص اخرى أمثلة على ذلك تشبه أمثلة الغزالي تماما.

ثالثا:

- **انتقل الغزالي** من الشك في المحسوسات إلى الشك في العقليات مستخدما في ذلك مثال الحُلُم.

- **الأمر نفسه بالنسبة إلى ديكارت.** الذي شكّك في المحسوسات مستخدما تقريبا نفس أمثلة الغزالي، لينتقل بعد ذلك إلى التشكيك في العقل مستخدما أيضا مثال الحُلُم.

رابعا: كلاهما صرّح بأنّه لا يقبل شيئا بأنّه على حقٍّ إلا إذا انكشف له انكشافا واضحا، أي أنّ كلاهما قد اعتمد على قاعدة البداهة واليقين.

خامسا:

- **استخدم الغزالي قاعدة: المراجعة والتدقيق** التي يؤكّد من خلالها على ضرورة مراجعة وتمحيص ما تمّ التوصّل إليه من نتائج حتى تتبدّى في عقل صاحبها يقينا لا يخالطه أي ريبٍ أو أدنى شكّ.
- **واستخدم ديكارت قاعدة الإحصاء**، والتي تصبّ في نفس معنى القاعدة السّابقة.

سادسا: الشك عند كلا الفيلسوفين هو شكٌّ منهجيٌّ للبناء، وليس شكّا مذهبيا للهدمِ.

أوجهُ الاختلافِ:

يمكننا حصر أوجه الاختلاف بين منهج كل من أبي حامد الغزالي ورونيه ديكارت في نقطتين رئيستين:

- لقد كان النّور الإلهي بمثابة الباب الذي فُتِحَ أمام الغزالي من أجل الخروج من كهف الشكّ، ومن هنا كان هذا النّور هو أساس كل المعارف.
- أما ديكارت فلقد انتهى إلى فكرة الكوجيتو التي لا يمكن أن يمتدَّ إليها الشكّ أبدًا.

إلا أنّه يمكن القول بأن منهج المعرفة في كليهما هو الحدس.

5. خاتمة:

تستلزم منّا مشكلة البحث المطروق الإجابةُ عن أهمّ التساؤلات التي تمّ طرحها في المقدّمة، حيث نصل من خلال كل ما سلفَ ذكرهُ إلى التنويه بعناية المفكرين العرب والمسلمين في جميع الحقب الزمنية الماضية والحاضرة بمسألة المنهج، هذه القضية التي كانت حاضرة في جميع ما كتبه الأوائل والمتأخرون، يظهر ذلك بجلاء من خلال الثراء المنهجي الذي تحفل به مصنفات أبي حامد الغزالي –كمثال فقط- والتي تنوّع منهجه فيها، بين العقليّ الاستنباطي في مسائل الأصول، والاستقرائي في مسائل الفقه، إضافة إلى منهجه الشكيّ الذي اعتمده في عملية غربلة التراث والبحث عن المعرفة اليقينية، ليصل بعد ذلك إلى منهج المناهج في نظره وهو المنهج الذوقي الحدسيُّ الذي يقوم على الرؤية الصافية للقلب والخالية من كل الشوائب والمكدّرات.

أما فيما يتعلق بمسألة التقارب بين منهج مُفَكِّرَيْنِ من حضارتين مختلفتين، يفصل بينهما زهاء ستة قرون من الزمن، فإن هذا التقارب واضح وباد للعيان، كما أنّ المنهجية المتبعة بين الفيلسوفين تكاد تكون واحدة. وهنا تطرح مسألة تأثر ديكارت بالغزالي، وأغلب الظنّ هو استفادة فيلسوف فرنسا من أعمال مفكري الإسلام بما فيهم أبي حامد الغزالي، فمن النادر جدّا، أو من المحال أن يصل التخاطر في الأفكار إلى درجة التشابه في ضرب الأمثلة. وقد تباينت مواقف المفكرين العرب والمسلمين المعاصرين بخصوص هذه المسألة إلى ثلاثة آراءٍ وهي:

1- القائلون بعدم تأثر ديكارت بالغزالي مطلقا

2- القائلون بوجود تشابه بين منهج وأفكار ديكارت والغزالي

3- المتوقفون في ابداء الرأي حتى يتبين لهم دليل قاطع في المسألة.

أمّا من حيث الوضوح في المنهج فإنّ ديكارت كان أكثر وضوحا وأكثر منهجيّة إذا ما قارنّاه بأبي حامد الغزالي، وهذا أمر طبيعي إذا ما تأملنا في الهوّة الزمنية السحيقة التي تفصل بينهما، فالمنهج في عصر الغزالي كان في مرحلة الميلاد، بخلاف عصر ديكارت الذي بلغ فيه المنهج مرحلة النضج.

6. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابراهيم ابراهيم. (د ت). *الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم*. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

2. ابراهيم مدكور. (1983). *المعجم الفلسفي، معجم اللغة العربية*. القاهرة: الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة.

3. ابن منظور. (د ت). *لسان العرب، مادة: شكك*. (تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون) القاهرة: دار المعارف.

4. أبو حامد الغزالي. (1993). *القسطاس المستقيم*. (قراءة وتعليق: محمد بيجو) دمشق: المطبعة العلميّة.

5. أبو حامد الغزالي. (2001). *المنقذ من الضّلال*. (تحقيق: محمد محمد أبو ليلةَ وآخر، مقدّمة المحقّق) الولايات المتحدة الأمريكية: جمعيّة البحث في القيم والفلسفة.

6. أبو حامد الغزالي. (2016). *محكّ النظر*. (تحقيق: اللجنة العملية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي) بيروت: دار المنهاج.

7. *أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، رقم الحديث: 3268*. (بلا تاريخ).

8. اسماعيل بن كثير. (2000). *تفسير القرآن الكريم*. بيروت: دار ابن حزم.

9. أندريه لالاند. (2001). *موسوعة لالاند الفلسفية*. (تعريب: خليل أحمد خليل) بيروت - باريس: منشورات عويدات.

10. ايميل بريهيه. (1988). *تاريخ الفلسفة، ج 3*. (ترجمة جورج طرابيشي) بيروت: دار الطليعة.

11. حمّاد بن زكي الحمّاد. (بلا تاريخ). حقيقة الشكّ عند الغزالي، ،. *مجلّة كليّة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد: 38، الإصدار الثاني، العدد 01*.

12. رونيه ديكارت. (1985). *مقال عن المنهج*. (ترجمة: محمّد مصطفى الخضيري) القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

13. رونيه ديكارت. (1988). *تأملات ميتافزيقية في الفلسفة الأولى*. (ترجمة: كمال الحاجّ) باريس، بيروت: مشورات عويدات.

14. رونيه ديكارت. (2016). *مقالة الطّريقة*. (ترجمة: جميل صليبا) بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع.

15. زكي نجيب محمود، و أمين أحمد . (2020). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. الناشر: مكتبة هنداوي الالكترونية، www.hindawi..org.

16. مهدي فضل الله. (1996). *فلسفة ديكارت ومنهجهُ، دراسة تحليلية نقدية*. بيروت: دار الطليعة.